

مقالات رأي

وجه الحقيقة | إبراهيم شقلاوي يكتب: خميس الفكرة والنغم وتقرير المصير!

أضواء البيان • 26-06-2025 • 5 دقائق قراءة



حين يعلو صوت البندقية على كل الأصوات، وتمحى الملامح الثقافية أمام زحف الحرب فإن التاريخ يصنعه الجند إلى

جانب المبدعون الأذكياء، بين ذاك وتلك يطل سؤالنا: أين المبدعون السودانيون؟ أولئك الذين لطالما شكلوا وجدان الأمة السودانية، ومهدوا بالكلمة واللحن والمسرح دروب الوطنية وبناء الوعي.

فمنذ اندلاع الحرب المخزية في 15 أبريل 2023، تشهد البلاد واحدة من أقسى مراحلها، أزمة وجودية تهدد الهوية وتعيد صياغة المجتمع السوداني وفق معادلات جديدة . في هذا المشهد المكتنف بالتحدي، تبدو الساحة الثقافية خالية من تلك الأصوات التي اعتدناها في لحظات الانعطاف الوطني، وكأن التعب قد نال منهم وفقدوا الانتباهة والوعي باللحظة التاريخية.

غياب المبدع السوداني عن مشهد الحرب والمحنة مثل فراغ في لحظة تستدعي الحضور أكثر من أي وقت مضى. فقد علمنا تاريخ السودان أن الكلمة كانت دوما جزء من النضال الوطني ، وأن الأغنية كتبت ما عجزت عنه الصحف، والمسرح قال ما لا تجرؤ عليه المنابر. في زمن الثورة، لم يكن الشارع ليشتعل دون صوت محمد الأمين، ولا كانت الذاكرة لتحفظ بالحلم دون قصائد محمد المكي إبراهيم .

وفي لحظات التراجع، كتب حسين أونسة "عزيز أنت يا وطني برغم قساوة المحن"، لتصبح كلماته وقود لأجل استعادة الثقة. لم يكن الشعر ترفا ولا الأغنية تسلية، بل كانت سلاحا في معركة الكرامة التي أعزت السودانين اصحاب الفكرة والتدبير ، كما كانت طريقا لرأب الصدع حين توارت القيم التي توحد شتات الناس.

غير أن هذا الغياب لا يفهم إلا بمقارنة تجارب شعوب أخرى مرت بالمأساة ذاتها، ونجحت، إلى جانب البندقية في حفظ الأوطان ، بعداد المبدعين. تجربة رواندا تظل شاخصة نستلهم منها الدروس والعبر ،و التي شهدت في عام 1994 واحدة من أبشع الإبادات الجماعية في العصر الحديث، تظهر كيف يمكن للكلمة أن تصبح جسرا للعبور للمستقبل.

في مجتمع تميزه الانتماءات الإثنية، تحول الفن إلى أداة للمكاشفة والاعتراف، استخدم المسرح ليحكى ما لا يقال، وليروي قصص الناجين والجلادين في لحظة واحدة، فكانت الخشبة أكثر صدقا من منصات العدالة الدولية، وأكثر فاعلية في بناء الذاكرة المشتركة. هذه التجربة، التي جعلت من الإبداع مكونا في عملية المصالحة، تصلح كنموذج قريب من الحالة السودانية، إذ لا يختلف المشهد كثيرا من حيث طبيعة الانقسامات أو عمق الجراح.

في رواندا لم تصنع الهوية الوطنية في غرف السياسة وحدها، بل في الفضاء الثقافي الذي أعاد بناء الإنسان. وكذلك الحال في لبنان، البلد الذي عرف حربا أهلية امتدت لخمس عشرة عاما. هناك كان المسرح السياسي والموسيقى والسينما منصات لطرح الأسئلة المؤجلة: من نحن؟ ولماذا احترق هذا البلد؟ لقد لعب فنانون وطيون امثال فيروز و زياد الرحباني دورا فريدا في زعزعة السرديات الطائفية، بلغة تسخر من العبث وتعري تناقضات الواقع. وبينما فشل السياسيون في علاج الانقسام، ظل الفن ملتقي اللبنانيون دون أن يسألوا عن طائفة أو دين.. فقد اجتمعوا علي حب الوطن.

لبنان ورواندا، كل بطريقته، أثبتا أن المبدع لا يأتي بعد انتهاء المعركة، بل قبلها وأثناءها وبعدها. وأن الإبداع ضرورة وجودية في لحظات التصدع. وهذا هو الدرس الأهم الذي ينبغي أن يستوعبه المبدعون السودانيون اليوم.

فالشعب لا ينتظر منهم تهويمات شاعرية أو عزفا خارج السياق، بل خطابا فنيا يعيد توحيد الذاكرة الممزقة، ويكتب ما تهابه النشرات الإخبارية.

إن السودان بما يحمله من تنوع ثقافي، ليس في حاجة إلى نخب سياسية متصارعة بقدر ما يحتاج إلى مخيلة جديدة، وإلى سردية تعيد تشكيل ما تمزق من نسيجه الاجتماعي، بلغة الوطن الذي يسع الجميع. يحتاج إلى أغنية تواسي مدني وهي تصمد، وقصيدة تنقذ الخرطوم من الغرق في التناقضات، ومسرحية تلم شتات كردفان ودارفور التي اوشكت ان تمضي لغير رجعة.

هذا وبحسب ما نراه من #وجه_الحقيقة وفي ضوء ما يمر به السودان من تحولات، فإن إعادة تأسيس الدولة السودانية لا يمكن اختزالها في المسارات السياسية أو الأمنية وحدها، بل تتطلب استنهاض القوى المنتبهة المبدعون جزء منها ، كتاب ومسرحيين وشعراء وفنانين. فهؤلاء ليسوا ناقلي مشاعر أو مؤرخي أحداث، بل فاعلون في تشكيل الوعي الجمعي، و الذاكرة الثقافية، ومهندسو للخيال الوطني.

إن المسرح الذي يعري بنية العنف، والشعر الذي يستبطن الألم ويحوله إلى أمل، والفن الذي يوحد الشارع عندما تعجز السياسة، هي أدوات لا تقل أهمية عن أدوات التفاوض والمصالحة والعدالة الانتقالية. ومن هذا المنطلق، فإن ضمان بقاء السودان كفكرة جامعة ومشروع وطني ناهض قابل للاستمرار، مرهون بمدى قدرة نخبة الإبداعية على إعادة إنتاج السرد الوطني، وصياغة خطاب منتج يعبر عن التنوع، ويجسر الهوة الاجتماعية.. ذلك خميس الفكرة والنغم وتقرير المصير.

دمتم بخير وعافية.

الخميس 26 يونيو 2025 م Shglawi55@gmail.com

<https://www.almuhit-adn-news.com/news/2135> وجه-الحقيقة-إبراهيم-شغلاوي-يكتب-خميس-الفكرة-والنغم-وتقرير-المصير

© 2026 شبكة المحيط الإعلامية – جميع الحقوق محفوظة